1- تطور مفهوم التعليمية:

أصبح مفهوم التعليمية يحتل مكانة بارزة في الأدبيات التربوية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وأضحى لها دور متميز ضمن علوم التربية.

ولقد شهد تطورها التاريخي خطوات متسارعة، بفضل اهتمامات العلماء والباحثين، فبلغت درجات عليا من الضبط والتحديد لموضوعها، وكذا المبادئ التي ترتكز عليها.

وقد توصلت الدراسات التحليلية لمفهوم التعليمية –على ضوء التجارب المعاصرة في مجال علوم التربية– إلى ما أكد ارتباط التعليم و التعلم ببعضهما ارتباطاً عضوياً ضمن علاقة تفاعلية، فكانا يشكلان معاً كلاً متكاملاً لا يقبل التجزئة، ويرتبط هذا الكل بعلاقة منطقية (يعني غير متناقضة) بين نشاطات كل طرف.

من هنا أصبح ينظر إلى التعليمية على أنها نظام من الأحكام، ترتبط مباشرة بالظواهر المتعلقة بعملية التعليم والتعلم، يحللها على ضوء علاقة الارتباط بين عناصرهما.

(خير الدين هني،2005: 126-127)

نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، من ذلكتعدد المصطلحات المستقاة من الإنجليزية أم من الفرنسية، وهما اللغتان اللتان يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر،على تنوع خطاباته،ومنها مصطلح didactiqueالذي تقابله في اللغة العربية عدة ألفاظ: تعليمية، تعليميات، علم التدريس،علم التعليم ،التدريسية، الديداكتيك...

تتفاوت هذه المصطلحات في الاستعمال، ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال ديداكتيك تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون علم التدريس، وعلم التعليم، وباحثين آخرين قلائل، يستعملون مصطلح تعليمية وتعليميات أو مصطلح تدريسية.

يقول حنفي بن عيسى 2003، كلمة تعليمية في اللغة العربية مصدر صناعي لكلمة تعليم، وهذه الأخيرة مشتقة من علّم أي وضع علامة أو سمة من السمات للدلالة على الشيء دون إحضاره.**(محمد الدريج،2011: 2)**

وكانت تطلق على ضرب من الشعر يتناول بالشرح معارف علمية أو تقنية، وهو شبيه بالشعر التعليمي عندنا، والذي نظمه أصحابه من أجل تيسير العلوم للدارسين ليكونوا قادرين على استيعابها، واستظهارها والاستشهاد بها عند الضرورة.**(هيئة التأطير،دت:10)**

وقد ذكر لورسي عبد القادر(2002) عن فولكي(1971): "أن كلمة ديداكتيك الفرنسية قد اشتقت من الأصل اليوناني Didactikosوالكلمة تعني: فلنتعلم، أي نُعلم بعضنا البعض، أو أتعلم منك، وأُعلمك، وكلمة Didasko أتعلم، وكلمة Didaskon تعني تعليم.

مما يفهم من هذا المصطلح الأصلي أو عملية التعليم، أو التدريس ليست هي إلقاء وشرح من طرف المدرس فقط، وإنما تعني عملية أخذ وعطاء بين المدرس والمتمدرس بالمفهوم النفسي التربوي المتطور لعملية التدريس.

لقد دخلت هذه الكلمة إلى الفرنسية سنة(1554م)، كما استخدمت كلمة ديداكتيك "didactique" في علم التربية أول مرة سنة (1613م) كما يذكر لورسي عبد القادر(2002) من قبل كشوف كلمن هيلنج "K.Helwig" و يواخيم جانج " J.Jang" من خلال تحليلهما لأعمال المربي فولف كانج رايتش "Wulf Gang Ratiche" (1571–1635) في بحثهم في نشاطات رايتش التعليمية، والذي ظهر تحت عنوان: "تقرير مختصر في الديداكتيك، أي فن التعليم (التدريس) عند رايتش".

من نص التقرير يتضح أن مصطلح التعليمية مرادف لمعنى فن التعليم،و كانت تعني عندهم نوعاً من المعارف التطبيقية والخبرات، هو بنفس المعنى الذي استخدم بان أموس كومينوس (1657م)"J.A.Comminius" هذا المصطلح في كتابه الديداكتيكا الكبرى"DidacticaMagna"، حيث يقول عنه: "أنه يعرفنا بالفن العام لتعليم الجميع كل شيء، أي أنه فن لتعليم الجميع مختلف المواد التعليمية".**(موسى حريزي،2009: 47–48)**

وظل هذا المفهوم سائداً لغاية الستينات ومنحصراً في النشاط التعليمي التعلمي، وبقي مفهومها قريباً من البيداغوجية، التي تفيد على حد قول فولكي(Foulquié) ذلك النظام الذي يتّبع في التربية والتعليم، مما جعل من الصعب التمييز بينهما.

غير أنه مع تطور البحث في التعليمية، بدأ الفرق يتضح بين التعليمية والبيداغوجيا.

وفي السبعينات والثمانيات، قطعت التعليمية شوطاً كبيراً، إذ اتسع مجالها فانصبت مباحثها على دراسة ذلك التفاعل القائم بين نشاطي التعليم والتعلّم وعلاقتهما بمحتويات الدراسة.

(فضيلة حناش،2009: 195)

ولقد عرفها سميث أب(1962) على أنها: "فرع فروع التربية، موضوعها خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية، وموضوعاتها ووسائطها ووسائلها وكل ذلك في إطار وضعية بيداغوجية. وبعبارة أخرى يتعلق موضوعها بالتخطيط للوضعية البيداغوجيةوكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة."

وعرفها ميلاريج(1979) بأنها: "مجموعة طرق وأساليب وتقنيات التعليم."

أما بروسو فيقول عام 1983: "أن الموضوع الأساسي للتعليمية هو دراسة الشروط اللازم توفرها في الوضعيات أو المشكلات التي تقترح للتلميذ قصد السماح له بإظهار الكيفية التي يشغل بها تصوراته المثالية أو رفضها."

ويقول في عام 1981: "التعليمية هي الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم التي يندرج فيها الطالب بلوغ أهداف معرفية عقلية أو وجدانية أو نفس حركية." **(هيئة التأطير،دت: 10-11)**

وتعتبر التعليمية من وجهة نظر دسيتيل Desautels(1979) هي علم تطبيقي موضوعه تحضير وتجريب استراتيجيات بيداغوجية تهدف إلى إنجاز مشاريع:

1 -يمكن للتعليمية أن تكتسب خصائص العلم التطبيقي.

2 -باعتبار التعليمية علماً تطبيقياً، فهي تسعى إلى تحقيق هدف عملي (وضع استراتيجيات بيداغوجية).

3 -لتحقيق هدفها تستعين التعليمية بعلوم السيكولوجيا والسوسيولوجيا والابستمولوجيا.

4 -تسعى التعليمية كمجال معرفي متميز لأن تصبح مطبوعة بطابع علمي لأنها:

أ- يمكن أن تؤلف نظاماً منسجماً من المعارف في تحول مستمر بفعل اندماج المعارف القديمة بالمعارف الجديدة.

ب - يمكن أن تتمخض عن نتائج إذا ما وضعت تحت الملاحظة المنهجية بواسطة أدوات تقربها أكثر من الدقة والموضوعية.

ج – يمكن أن تمتنع عن كل تأمل ميتافيزيقي.

د – يمكنها في الأخير أن لا تكتفي بوصف الظواهر والربط بينها فقط ولكن يمكنها أيضاً تفسيره.(**أحمد بن سعد، 2010: 132–133)**

نستشف من هذه التعاريف وغيرها أن التعليمية نظام من الأحكام المتداخلة والمتفاعلة ترتبط بالظواهر التي تخص عملية التعليم والتعلم، فتخطط للأهداف التربوية ومحتوياتها، وتطبيقاتها التعليمية، ومواقيتها، كما تهتم بدراسة الوسائل المساعدة على تحقيق الأهداف، والطرائق المناسبة، ووسائل مراقبتها وتعديلها.

والتعليمية بمفهومها الحالي ليست حقلاً أو حقولاً معرفية معينة ولا طريقة تدريس أو بيداغوجية معينة، وإنما هي بحث في تلك التفاعلات القائمة بين عناصرها الثلاثة، المتعلم، المعلم، المعرفة.

فالتعليمية منحيث أنها بحث في مسائل العملية التعليمية –التعلمية، تعنى بالمكانة التي يشغلها المدرس كوسيط بين التلميذ والمعرفة، كما أنها تسعى في نفس الوقت إلى تحليل شامل لعملية بناء المعرفة انطلاقاً ابستيمولوجية المعرفة ومستجدات علم النفس المعرفي.

لذلك تستمد التعليمية أسسها من حقول عدة:

-حقل الابستيمولوجية: ويتضمن ابستيمولوجية المادة وموضوعها ومنهجيتها، ومصادرالمعرفة وطبيعتهاوخصوصياتها. كما يتضمن هذا الحقل ابستيمولوجية المعلم، وموضوعه البحث في شخص المعلم و مواقفه اتجاه المعرفة، وتصوراته للمتعلم وللعملية التربوية بصورة عامة.

-حقل علم النفس التكويني وعلم النفس المعرفي وعلم النفس الاجتماعي وحقل الأنثروبولوجية الذي يتناول الطفل وخصوصياته، وخصوصيات الوسط الذي ينشأ فيه وأثر ذلك على تعلمه.

-حقل المادة التعليمية: أصبحت محتويات التعليم في إطار التعليمية مجال نقاش واسع بين المربين وذلك للإشكاليات العديدة التي تطرحها هذه المحتويات لا سيما بإشكالية المفهمة (Conceptualisation) ومسألتي النقل التعليمي (La transpositio didactique) والعوائق التعليمية (Lesobstacles didactiques). **(فضيلة حناش،2009 :196)**